ذنوب العشق

"١٣ ديسمبر"

اسم الرواية: **ذنوب العشق "١٣ ديسمبر"**

اسم المؤلف: **سهيلة القاسم**

تدقيق لغوي: **شيماء عز الدين**

تصميم الغلاف: **عبد الرحمن محمد**

تنسيق داخلي: **مينا تادرس**

رقم الإيداع: **٢٠٢١/٢٣٠١**

الترقيم الدولي : **٩٧٨٩٧٧٨٤٤١٠٨٢**

جميع الحقوق محفوظة للناشر ©

أى اقتباس أو تقليد أو إعادة طبع أو نشر دون موافقة كتابية يعرض صاحبه للمسائلة القانونية والآراء والمادة الواردة.
وحقوق الملكية الفكرية بالكتاب خاصة بالكاتب فقط لا غير.

E-mail: ebharpuplishing@gmail.com

تليفون: ٠١٠٦٠٢٦٧٤٠١

سهيلة القاسم

ذنوب العشق

"١٣ ديسمبر"

إبهار
للنشر و التوزيع

اللهم صلي وسلم وبارك على سيدنا محمد عدد ما ذكره الذاكرون وغفل عن ذكره الغافلون.

إن زاد المطلوب عن الحد انقلب إلى الضد

"لا يبلغ العبد حقيقة التقوى حتى يدع ما حاك في الصد"

صحيح البخاري

إهــداء

إلى كل من ذاق مرارة الهوى وعشقِ وأذنب وأناب، أعان الله المحبين على ما حملوا.

إلى من يستحق الإهداء الأستاذ العظيم/ محمد صبحي

إلى..

أمي وأبي وإخوتي

إخوتي البنات ومأمن قلبي هم

إلى القلم الخليجي الرائع (إيمان العنزي)

إلى رفيقات العمر (رضوى عاطف - براءة مجدي - ندا نجم صفا خالد - ياسمين مصلح - نهى طارق - هاجر الفقي)

إلى الطيبة الجميلة (فاطمة ماهر).

"تحققت مشيئة الله"

- لا أصدق ما حدث أخيرًا بعد كل هذا العناء مَن الله علينا من فضله وخاتم خطبتك يزين يدي يتراقص قلبي فرحًا وربي.
- الله كريم يا نور.
- كلما كان يحدث شيء يعرقل طريق وصولي إليك ناديته باسمه الأعظم (يا أللهُ) ودعوته برحمته التي وسعت كل شئ وغلبت قدره
- صدقت الله رحيم
- تعلمين يا نور أن فستانك هذا الذي يشبه موج البحر في صفاته يليق بجمال قلبك وروحك، فالشبيه بالشبيه يا عمر ورد

ابتسمت بخجل واحمر وجهها وبدأت تحرك الخاتم في أصابعها حركة دائرية تفعلها دائمًا في حالة التوتر أو الخجل.

وضع هو الآخر يديها بين كفيه وربط عليهما بقوه الفقيد وحنان العاشق

يداكِ كقطعة ثلج، لكنها تنصهر خجًلا بين كفيك أو إن شئت عشقًا.

اقترب منها حتى اختلط عطره الرجالي الحاد بعطرها الأنثوي اللطيف وانحل الثلج بالنار وهمس في أذنها "أحبك".

ففاحت رائحة الخجل، ابتسمت وازداد احمرار وجهها كأن الورد يأخذ من خديها لونه وبعد صمت ساد للحظات استجمعت قوتها لتنظر في عينيه التي تلمع كنجمتين في أواخر الشتاء وتقول:

- تذكر منذ أن التقينا أول مرة

****

للقدر حروف تترجم إلى معانٍ

دخلت المقهى(الكافيه) لتطلب قهوتها المعتادة ووضعت هاتفها المحمول على الكاشير.

- من فضلك أُريد قهوتي السادة

بعد دقائق أخذت قهوتها والهاتف وخرجت متجه إلى الإذاعة وبعد أن قطعت نصف الطريق رن الهاتف فأجابته..

- ألو، السلام عليكم

- وعليكم السلام يا آنسة، قد تم تبديل هواتفنا في المقهى (الكافيه)

- كيف؟

- لم انتبه لهذا، من فضلك اعتنِ بهاتفي عليه كل الملفات الخاصة بالمحاضرات والعمل

- حسنًا يا آنسه وأنتِ كذلك

- غدًا الساعة الحادية عشر نتقابل في نفس المقهى ليأخذ كُلٌ منا هاتف

- موافقة، في رعاية الله

- في أمان الله

يا ألله كيف لم انتبه لهذا، يا معين الصابرين يا ألله.

وصلت نور إلى الإذاعة لتبدأ في مشروع التخرج التي كفلتها به الجامعة فهي في كليه الإعلام وعليها أن تقدم مشروعًا خاصًا بالإذاعة وتسجل جميع الملاحظات والحلقات لتعرضها على دكتورها

- تقرير الحلقة جاهز بعد دقائق ستكونين على الهواء

(قالها أحد فريق الإعداد)

- حسنًا أنا جاهزة

السلام عليكم أعزائي المستمعين موضوع حلقتنا اليوم عن (القدر).

الكون هو كتاب الله الكبير وحروف هذا الكتاب يكتبها القدر الذي يحدثنا فيه عن أنفسنا. نحن نعرف الحروف لكنها عجيبة في تكوين الكلمات ليس لنا في هذا الكون فعل غير مشاهدتها وهي تكتب ونحن ننفذ كلمه القدر فالحروف رسل من نور لا تنقطع. فانظر

للقدر داخلك، فحروفه تركبت في معانٍ لتكون إشارات تصلك تحسها دون أن تحتاج لسماعها، فاقرؤوا الأقدار بالقلوب.

أعزائي المستمعين نخرج لفاصل وفي انتظار رسائلكم واتصالاتكم ولكن نستمع الآن لقصيدة الليالي الأربع للشاعر أحمد بخيت:

"أعوذ بوجه من خلق الجمال فكان كيف يشاء وزان الارض بالأزهار والأطفال والشهداء أيبدع كل هذا الشعر ثم يخاصم الشعراء"

عودنا إليكم أعزائي المستمعين ونستقبل اتصال هذه الليلة:

- ألو

- ألو أهلًا يا نور أنا في حيرة من أمري، أحب شاعرًا لكن الله عزوجل قال:

(وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ (٢٢٤) أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ (٢٢٥) وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ)

- فأخشى أن أكون غاوية يا نور ساعديني.

- حسنًا يا صديقة تعالي نتدبر آيات الله ولكن عليكِ أولًا أن تعرفي تكملة الآية التي تلوتينها منذ قليل.

- أكمل رب العزة سبحانه بقوله:

(إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَانتَصَرُوا مِن بَعْدِ مَا ظُلِمُوا ۗ وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ)

- لا توجد موهبة من المواهب شرفها الله بالذكر في كتابه الحكيم كالشعر والشعراء

- =أتعلمين يا نور حين قولتِ حروف القدر تُقرأ بالقلب رغمًا عني نطقت بعض قصائده التي أهداها لي وبعدها سمعت مقطع الشعراء في قصيدة الليالي الأربع فعلمت أنها إشارة القدر في تكميل المسير

- أعيذي قلبك من شيطان الشك وبسملي عليه بالمودة واللين واقرئي ما تيسر من آيات الحب

- الله أكبر يا نور، شكرًا لكِ

- أعزائي المستمعين وصلنا لختام حلقتنا اليوم ولنا لقاء آخر إن شاء الله في نفس الميعاد.

انتهت نور من عملها في الإذاعه وذهبت إلى منزلها بكل بهجتها المعتاد عليها وضحكاتها المشرقة

- أمي لقد وصلت وجائعة

- بدلي ملابسك يا نور وتعالي العشاء جاهز حبيبتي

دخلت نور غرفة أبيها وجدته جالسًا في الشرفة وضعت قبلة على خده وقالت:

- اشتقت إليك يا أبا الأنوار (وهي مازالت تحتضنه)

ضحك والدها وقال:

- اممم يا بكاشة لو أنك تشتاقين إلي لتصلتِ بي طيلة يومك

- عذرًا يا أبي لكن ما حدث معي منعني من سماع صوتك يا حبيب نور

- ماذا حدث؟!

- تم تبديل هاتفي بهاتف شخص آخر وسألتقي به بالغد ليأخذ كلٌ منا هاتفه.

- كل شيء يحدث حولنا له حكمة فلا تتطيري من ذلك فهو بإذن الله خير

- اللهم لا طير إلا طيرك ولا خير إلا خيرك ولا إله غيرك

- ونعم بالله بُنيتي

يقاطع حديثهما صوت من خارج الغرفة ينادي: العشاء جاهز

- سأذهب يا أبي لتبديل ملابسي في الحال

- حسنًا حبيبتي.

* * * *

١٣ ديسمبر

في اليوم التالي استأذنت نور من والديها لمداومة يومها المعتاد ما بين الدراسة في الجامعة وبين العمل في الإذاعه بالإضافة إلى مقابلة ذلك الشخص لتأخذ هاتفها.

من الطقوس المعتادة لدى نور أنها قبل الخروج في بداية كل صباح أن تقطع ورقة النتيجة المعلقة على الحائط وتقرأ الحكمة التي عليها وتأخذها على أنها رسالة من القدر.

- ١٣ ديسمبر لنرى ما حكمتك اليوم يا ديسمبر، "كل شيء في حياتنا حكمة ورسالة يترجمها القدر" يبدو أن ديسمبر يخفي لنا سرًا، لنرى ماذا سيحدث

وصلت إلى الجامعة والتقت بصديقتها وقصت عليها ما حدث لها.

نور: سيدخل اليوم رئيس القسم أم المعيد؟

حَنه: دخل الأسبوع الماضي رئيس القسم أما هذا الأسبوع فهو للمعيد ولكن سمعت أنه بدل المعيد وسيدخل لنا معيد آخر جديد

نور: اللهم اجعله خيرًا

دخلتا المحاضرة ولكن حدث شيء غريب أفقدها تركيزها وجعلها مشتتة كليًا.

(إن الدكتور هو ذلك الشاب الذي بُدل هاتفي معه ولكن ماذا يحدث لي ولما فرحت لرؤيته ولماذا استرق تركيزي وجعله محور له ولماذا أسترق النظر وكأنه لا يوجد في المكان غيره، آخ يا ديسمبر آخ.. رسالتك غير واضحة ومخيفة وحكمة القدر صعبة)

استفاقت من شرودها وصديقتها تهزها وتقول:

- انتهت المحاضرة وأنتِ شاردة ماذا بك؟

نور: بي جِنة القدر

حَنة: ماذا؟!

نور: أتقاذف بين علامة واضحة وقدر أخشى تصديقه

حَنة:يبدو أن العمل بالإذاعة ومشروع التخرج أفقدك عقلك، أنا لا أفهمك

نور:هل تعرفين ما الحب؟

حَنة:شعور يخلق بين شخصين ويشعران بالسعادة

نور:هل ذُقتي هذا الشعور؟

حَنة:لا

نور: إذًا لن تعرفي ماهية الحب ولا تفسيره

فلا يعرف الحب غير قلبٍ محب، كثيرون فسروا الحب ولكن لم يتفقوا على تعريف واحد له والجاهل بالحب هو من يدعي معرفته. عندما نحب نُأسر كليًا نُأسر قلبًا وقالبًا فلا يشعر له غير قلب أصابه هذا الآسر.

حَنة: ولكن هناك من ظلموا فيه؟

نور: الحب قسمته ضيزى لا عدل فيه ورغم قسوته فهو سعادة للمحبين

حَنة: وما علاقة هذا بشرودك؟

نور: لا أعلم ربما رسالة ديسمبر هو الآخر

حَنة: هيا لتعيدي هاتفك فالساعة الآن الحادية عشر

نور: من بُدل هاتفي معه هو المعيد سأذهب إليه في مكتبه

ذهبت نور إلى مكتب المعيد ووقفت

- السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

- وعليكم السلام، تفضلي يا آنسة

- تفضل هاتفك يا دكتور

ابتسم لها وقال:

- أذكر تلك المرة

- عذرًا لو تحدثت معك في ذلك اليوم بطريقة غير لائقة لكن ما حدث وقتها أربكني قليلًا

- لا عليك، لكن ما اسمك؟

- أنا نور، وحضرتك؟

- اسمي تميم، نور هل تسمحين لي أن أسجل رقم هاتفك؟

- نعم يا دكتور بالطبع

- وشيء آخر؟

- تفضل يا دكتور

- سني قريب من أسنانكم وكما قلت لكم في المحاضرة إني صديق لكم ولست دكتور أو شيء من هذا القبيل ارفعي الكلفة فنحن الآن أصدقاء

- العفو يا دكتور

- يا نور دفعتك تناديني باسمي مجرد من "دكتور" فأنا تميم.. تميم فقط

ابتسمت له نور وقالت حسنًا يا تميم واستأذنته في الخروج.

"يا منير الأكوان وخالق الإنس والجان أعني على ما حل بي فأنا أضعف من أن أحمل رسالة عشق، سبحانك لا راد لقضائك ولا مانع لقدرك ولكـــن تاه

عقلي وزاغ بصري فخذ بيدي أخذ الراغبين في همه السير إليك فأنت في قلبي".

قالت هذه المناجاه عقب خروجها من مكتب تميم وهي قابضة على السبحة التي لا تفارق يداها عل الله يهون قضاء العشق عليه.

مـا بـيـن معلـم ومتعلـم

- بنيتي مرت السنين وأنت على هذه الحالة حبيبتي ما رأيك أن تعودي لعملك مرة أخرى أو.. أو تسافرين مثلًا مع أصدقائك

- أبي لا أريد شئ من هذه الدنيا، لا أحبها

- خلقنا لنعمر دار الدنيا حتى لو كرهناها لكل منا رساله لا يُقبض حتى يؤديها علي أكمل وجه

- لكن لم يتمها يا أبي وقبضه الله ليحرق قلبي كان اختيار موته خاطئ يا أبي لما قبضه لما

صفعها أبيها على خدها وقال لها ينهرها:

- ارجعي لعقلك وانظري عم من تتحدثين أنه الله جل شأنه لا يخطئ ولا يفعل شئ هباءً منثورًا استغفريه عله يغفر لكِ ذلتك

وخرج من غرفتها غاضبًا منها مفتور القلب على حالتها.

بكت بحرقه وقالت تناجي الله:

" يا الله سبحانك جل شانك غفرانك يا ذا الغفران أنك تعلم حرقه قلبي فاعذرني فأنا بي منك روح وأنت مولاي أنت وأنا ما عدت أدرى من أنا"

وبعد أن هدئت روعتها خرجت لأبيها.

- عذرًا يا أبي لا أدرى ماذا أقول ولكن سامحني
- الله أحق أن تعتذري إليه ليس أنا
- رفقًا بي، ادع إليه لي أن يمن عليا بالمغفرة
- استأذنك في الخروج أريد أن أصلي في الحسين علَ الله يغفر لي ويسامحني ببركه ذلك المسجد
- اذهبي حبيبتي في رعاية الله

وبعد خروجها من المسجد وصلت إلى مسجد الحسين وجلست في ساحه المسجد مُسنده رأسها إلى الحائط ناظره لأعلي كأنها تختلي مع الله وتناجيه وعينيها مدرار الدماء.

قام وبعد وقت بسيط ما يقرب من نصف ساعه من خلوتها هفت روحها بنسمات الي مكان ما في ساحه المسجد ولكن يجلس فيه رجل

عجوز بشوش الوجه كثيف الشعر متوسط اللحية لحيته يتخللها شعر ابيض يدل علي كبر سنه وتجاعيد وجه تدل على رضي حاله يرتدي برده خضراء تزيد شيبته هيبه واجلال يلبس في رقبته سبحه خضراء كل حجر عليها منقوش باسمه تعالي الاعظم وسبحه يده منقوش عليها اسم من اقترن بالشهادة وأتم الرسالة.

فقامت متجه نحوه حتى وصلت اليه وجلست امامه جلست المتعلم للمُعلم، فقابلها بابتسامة رضي هو الآخر فطمئن.

- يا سيدي في البداية ما جئت اليك بأمري ولكن ثم شيء ما في هذه المنطقة يجذبني
- ولا أنا جالس هنا بأمري، الأمر هو الله والميسر هو الله والمُعلم هو الله ومسبب الأسباب هو الله
- هل تتفاضل الأماكن عن بعضها؟
- نعم تتفاضل روحانيات المكان، تهفوا بالروح فتتعلق به، الحق تعالي ميز بين الاماكن فجعل أشرف بقاع الارض مكة
- إذا يا سيدي لما أفضل المقابر؟!

- لأن قلبك هناك

انصدمت بإجابته وكأن المعلم ألقنها حجر في فمها سد مخارج الحروف وأكمل لها قائلًا:

- يبدوا أن العذاب عذاب قلب

زرفت الدمع دون أن تنطق حرفًا واحدًا كانت تريد الذهاب ولكن كأن شئ ما منعها ورجليها ثقيلتان لا تقوي على تحريكهما

أكمل المُعلم:

- بُنيتي اهدئ، الله في قلب العبد عند نزول الشدائد إن رضي إرضاه من فضله، سأهديك هديه في آخر كلام

- سيدي هل المحبة شر؟

- بالمحبة تتنافر الأحقاد فكيف لأساس الخير شر

- إذا لماذا يحرمنا الله من احبتنا؟ـ

- يضع الله أشخاص في حياتنا ليبلغونا رسائل ربك تساعدنا في تكميل المسير وما علي الرسول إلا البلاء

- ولماذا يذهبون بعد تعلقنا بهم ويتركوا ندبات القلب تنزف أثر رحيلهم؟

- إذا شُغلنا بهم يدعبون بتعب وكأننا وضعنا شوكة في كيس قطن لا تخرج إلا وأن تقطع وتُنَثر القطن اشلائًا

- تقصد لو ما تعلقنا بهم ما رحلوا؟!

- لا يا بُنيتي هم مقدرون للرحيل، سيرحلون ولو بعد حين ، لكن ما كنا نعاني الفراق لولا التعلق مثل خروج الشعرة من العجين مثلا تخرج بكل سهوله، سواء في حالتي القطن أو العجين سيخرجون لكن لطف القدر يتحكم في المشيئة هنا

- سيدي أين الله؟

- عند المنكسرة قلوبهم ثم وجه الله

- وأنا فُتِتَ قلبي، يا الله أي ذنب هذا (قالتها بحره وبكاء)

- إنه ذنب العشق

- منذ أن جلستي أمامي وأنا أعرف ما في نفسك أثقال القلب تُري في الوجه وأوجاع العشق تترجمها العين

- ماذا أفعل يا سيدي طفح الكيل وانفرط عقد الهوى فور وفاته تمزق قلبي وشاخت روحي ما عُدت أنا

- أعرف يا بُنيتي، سأقص عليك القصص، اللهم صلي على سيد المحبين "إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَن ذِكْرِ رَبِّي حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ" كان سيدنا سليمان عليه السلام يستعرض الخيل بعد العصر حتى غربت الشمس ونسي ان يصلي العصر لان رؤيه الخيل شغلته عن ذلك غندم واخذ يعاقب نفسه بذبح هذه الخيول لأنها شغلته عن ذكر الله

- لهذا أكمل رب العزة بقوله "رُدُّوهَا عَلَيَّ فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ"

- يا صغيرتي ما بلغتي من العمر الا قليل، واعلمي ان إذا زاد الحب عن الحد ووصل لمرحله العشق انقلب على صاحبه بالسوء والضرر، العشق موت دون بعث

سكت بعد سماع كلام المعلم ولكن داخلي يموج بالكلام حتى ان جاءت لحظه وكدتُ اتفوه بالكلام ابتسم وقال لي:

- الصمت عطر العاشقين الآن تنفك عقده العشق ليصير القلب جاهز الي حب جديد وليس عشقًا مُميتًا

- يا سيدي اشعر بالفعل وكأن قلبي بُدل وجسدي خفيف وروحي تكاثفت بالرحمة والرأفة حتى قدمي صاروا خيفافًا، ما هذا يا مُعلمي؟

- هذه فرصه للحياة مرة أخري مَن الله بها على قلبك فاحذري ان تحدي للذنب مرة أخرى. الحب ما دام مكتوم على خطر وغاية الأمن أن تدنو من الحذر

- اشكرك سيدي على مساعدك لي

- نسيتي الهديه؟!

- أخ، نعم ما الهديه التي تود اهدائي بها

- بنيتي احرصي على اواخى سورة البقرة في يومك

"آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ ۚ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ"

"لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ ۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا ۚ أَنْتَ مَوْلَانَا فَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ"

- والله نعم ما اهداني القدر انت وفضائلك وهداياك يا مُعلم

وأكملت له وثغرها مبتسم وكانت هذه الإبتسامة لم تري وجهها منذ فترة طويلة:

- أرجو لنفسي براءة من محبتكم إذا تبرأت من سمعي ومن بصري

- نسيت أن أسألك ما اسمك؟

- نور اسمي نور

* * * *

لـديسـمـبر رأي آخـر

تذكرين أنتِ أيضًا يوم مناقشة مشروع تخرجك.

حَنه: إهدئي يا نور مشروعنا مختلف عن البقيه ولنا السبق فيه لا تقلقي

نور: هل رأيتي دكتور تميم؟

حَنه: دكتور تميم (قالتها بمزاح)

أه لم أره حتى الآن

نور: حسنا يا غليظة (قالتها بابتسامه)

- صباح الخير كيف حالكما؟

نور: تميم

حَنه: أنا بخير حال الحمد لله لكن سأذهب لأري باقي الفريق

نور: أنا خائفة جدًا يا تميم

تميم: أنا أشرفت على مشروعك وكان جيد جدًا وأنتِ والفريق أتممتموه على أكمل وجه

عليك الآن أن تذهبين للمناقشة، أحبك

نور: ماذا.. ماذا قولت؟؟

(قالتها بصدمة ممزوجة بالفرح الشديد)

تميم: اذهبي الآن وبعدها نتحدث وبعد الانتهاء من المناقشة وحصل فريقها على علامات الإمتياز ذهبت لأبيها وأمها وجاء تميم للتعرف عليهم.

نور: أبي، أمي الدكتور تميم (واشاحت إليه بكفها)

تميم: سعتُ بمعرفة حضراتكم.. عمي، لم يعد بي كتم الهوى أكثر من ذلك اريد التقدم لخطبه الآنسة نور

الوالد: حسنًا يا بني إن ابنتي حدثتني كثيرًا عنك والآن لم يعد شيء ليخفي هي الأخرى تحبك

(تقف نور بينهما مصدومة فرحًا) استكمل الوالد حديثه

- غدًا الساعة السابعة مساءًا، هل يوافقك الميعاد؟

تميم: نعم يوافقني جدًا

- يا تميم احرجتني وقتها جدًا
- نحن في اليوم وما يحدث اليوم هو جُل الاحداث الذي نسعى اليها وهي خطبتنا
- قابلتك في ديسمبر ومرة سنة وخطبتنا الآن في ديسمبر
- أحبك
- سأعلمك مقدار المحبة في شرع الهوى فهذة الكلمة تشن بها حروب وتقام بها حضارات او بالأصح محبتي لك. هوي، محبه، عشق كلمات تداول بيننا لكن لكل كلمة معني خاص بها وليسوا نفس المراد كما يقول الجميع. إذا ارتقي الوجد صار عشق الذي هو إفراط في المحبة والهوى هو أشد من الحب هو التعلق بالمحبوب في أول ما يحصل في القلب وقد يكون دون النظر إلى بعضهم. "أمر على الأبواب بغير حاجة، علي أراكم أو أرى من يراكم".

- الطف ما وجد في الحب ان تجد عشقًا مفرطًا وغرامًا مُأرقًا وشوقًا ونحولًا

- اختلف معك يا نور لا يحق ألا أن يكون لمن لوع الفؤاد واذاب القلب به مهما اختلف الحب فهو للحبيب الأولي.

- "نقل فؤادك حيث شئت من الهوى، ما الحب إلا للحبيب الأولى"

- تعقلين في قدر حبك يا نور لكن لا خير في حب يدبر بالعقل

- ستعرفين ما أقوله قوله يومًا ما

- الآن بعد خطبتنا أخيرًا على الذهاب انتهى الحفل وتأخر الوق

خرج تميم من غرفة الضيوف هو ونور وسلم على آل بيت نور وذهب.

تحدثت نور مع أبيها ودعت لها أمها أن تدوم سعادتها ثم ذهبت لغرفتها لتخلد إلى النوم.

- ما هذا المكان! أين أنا؟! تميم!

- نور إفراط المحبة يُزيقك مرارة الذنب

- لا أفهمك؟

- لا يهم الفهم، لدي رسالة سأبلغكِ إياها ولو بشق الأنفس

لا تحزني.. روحك محبة بها حد الجنون. كل رائع به مس من الجنون. الحب رزق وقد رزقك الله الكثير منه والدمع رزق فلا تزر فيه إلا فرحًا.

طريق الحب ينقذك من الجنون فلا تحزني عله خيرً

- ما جاء ترجمان الأشواق أعياني وحار فيه قلبي وأرهق بياني

- لتجدى جوابك ابحثي في ذاتك، مكان القلب الجوف ومنبع الحب الجوف والإيمان به ينبع من إيمان الذات بخالق الأذوات وحركة شوقك هي ساقية أمنياتك واعلمي أن مطلق الإيمان يقاس بأسرار المحبة

- لماذا أحزن؟

- ستعلمين رسائل ربك وما صبرك إلا بالله، إعلمي إذا كان الحاضر مر فضيفي عليه نهكة بهجة من الماضي فسيطيب يومك بأمل غد في إشراقة تنوير. اعتنى بنفسك

- تميم.. تميم انتظر.. تمييييييييم

استيقظت من النوم فزعة من هول ما رأت وقالت: اللهم صلي على من خُير فاختار الرفيق الأعلى.

خرجت من غرفتها على ضجه في البيت

- أبي ماذا يحدث؟

- بُنيتي أرجوك تماسكي

- حدث شيء لتميم؟

- تميم.. تميم توفاه الله

- ماذا؟!!

وخرت على الأرض هاربة من الوعي من شدة الصدمة بموت معشوقة.

****

ثم فرصة أخرى

بعد أن عادت من مسجد الحسين وجدت أمها في انتظارها

- عذرًا يا أمي سرقني الوقت وتأخرت
- لا يهم حبيبتي يكفيني إنك عُدتي بخير
- نعم أنا بخير انزاح الهم عن القلب بقدر كبير يا امي
- أريد العودة للعمل مره اخري ومداوه حياتي الطبيعيه كالسابق
- نور انا في غايه الفرحة لما سمعته الآن وهذا يشجعني ان اتحدث معك في موضوع كنت اخشي أن اتكلم معك فيه كي لا تغضبي
- تحدثي يا أمي أنا صاغيه، اللهم اجعله خيرًا
- شاب تقدم لخطبتك من طرف الجيران مؤهلاته عالية هل من الممكن أن تجلسي معه مرة واحدة فقط ثم قرري بعدها القبول أو الرفض. مره واحدة يا بُنيتي.. مرة

ابتسمت نور لوالدتها وقالت:

- حسنًا يا أمي أجلس معه

قبلتها أمها فرحًا ومازالت في زهول من رد فعل نور وقالت:

- سأخبر أبيكِ ليفرح معنا حبيبتي

- أمي سأخبره أنا والآن

- أنه في غرفته يستعذب غناء سيدة الشرق أم كلثوم

- حسنًا سأدخل عليه بالبشرى

دقت الباب ودخلت إلى مقعده في الشرفة بين أزهار الريحان والورد والتمر حنه وزاد الجمال سلطنه صوت أم كلثوم.

جلست في الكرسي المقابل له:

- أبي تَكلمت أمي معي بخصوص ذلك الشاب الذي تقدم لخطبتي

- أعلم إنك غير مؤهله وتريدين الإجابة بالرفض، حسنًا حبيبتي سأرفضه في يوم غد

- لا لا يا أبي موافقة فالله أهداني فرصة جديده للحياة والرأفة فلما الرفض!

- حدد معه يا أبي أقرب ميعاد مناسب ليأتي لزيارتنا

- أهدي الله قلبك وأراح الله بالك حبيبتي

"وانتبهنا بعد ما زال الرحيق .. وأفقنا ليت أنّا لا نفيق يقظة طاحت بأحلام الكرى .. وتولى الليل والليل صديق"

ويخرج صوت عظيم من الجيران مافون يردد ذلك المقطع.

- تعلمين يا نور منذ أن كان عمرك السابعة كنتِ تأتين تجلسين معي هكذا مثلما نجلس الآن وترددي ذلك المقطع بإتقان كان قلبي ينبض بالفرح كلما سمعتك تغنين الأطلال

- وما ذلت أحفظه يا أبي وأكمله..

"وإذا النور نذير طالعُ... وإذا الفجر مطل كالحريق وإذا الدنيا كما نعرفها... وإذا الأحباب كل في طريق"

إن ترتجف أو تتيبس شفتاك، ترتبك، تشعر بحكة في جبينك، تعيد ترتيب ملابسك في الدقيقة مرتين تمشي ولا تلق بالًا بالذكريات التي تتساقط منك، تشابك أصابعك ثم تمضي إلى الحاضر الوردي.

ربما هو الحب وهم أو ربما هو الحقيقة الوحيدة بين هذه المعاني الزائفة.

وفي اليوم التالي جاء الخاطب ليجلس مع نور وتبدأ مراسم الخطبة ومن ثم الزواج ولكن لمجرد أن وقفت نور علي باب غرفة الضيوف شعرت بشئ غير الشئ كما لو أن تميم هو الجالس وليس رجلًا آخر وكانت الصدمة عندما رأته بالفعل سبحان من خلق فسوى وأبدع وأبهى، جلسا معًا وتعارفا.

عُدي: عمي هل يمكننا أن نكتب الكتاب في الخميس المقبل

الوالد: ولما العجلة يا بُني

عُدي: خير البر عاجله يا عمي ونور موافقة هي أيضًا

الوالد: أسمعها من فم نورا أولًا

نور: لا أقول غير ما يرضيك يا أبي وإن وافقت كان الخير وإن اعترضت فلك حكمة في الأمر

الوالد: حسنًا كيفما شئتما، الخميس القادم موعد زفافكما

وبعد أن انصرف عدي طلب والد نور منها أن تصنع فنجانين من القهوة وتجلس معه

- القهوة يا ابي
- سلمت يداكِ حبيبتي ولكن دعيني اتحدث معكِ بصراحة
- هل أنتِ متأكدة من رغبة زواجك الخميس المقبل؟
- نعم يا أبي متأكدة
- نور حدثيني بصدق، هل وافقتي عليه لأنه يشبه تميم رحمه الله؟!
- لا أعلم يا أبي ولكن القلب يشير بالقبول، يبدوا أن بذره الحب تزهر قلبي مرة ثانية
- لا يا نور لا يمكن أن نقول أن هذا قبول أو حب

- يا أبي إذا وجب القبول فعلي الحب الزهور، الحب كالوحي يجب على المؤمنين به أن يؤمنوا من وراء حج
- لكِ الغلبة في آخر الأمر ولكن اعلمي "والذين امنوا اشد حبا لله"
- سأخلد للنوم يا ابي فزفافي سيتم عما قريب
- تصبح على خيرات الله
- وأنتِ في زمرة الله بنيتي

****

أكان زواجًا أم انتهاك روح

في لقائنا الأول سمعت طقطقة أصابع داخل قلبي واحسست به يمشي قلقًا جيئه وذهاب داخل الصدر. ذلك الصدر الذي ضعف عن احتضانك وقتها.

رغم الحب الذي نبت في القلب ولا أعرف متى وضعت نبته لكنه يزهر في القلب بسرعه البرق، أخشى عليك من حرة الهوى وأخشى على القلب ذاته من فرط المحبة.

اااه يا حبيبي كنت أتمنى أن ازف إليك أنت ولكن اختار القدر، اه يا وجيعة القلب.

دخلت أمها على صوت النحيب والبكاء وجدتها مُلقاه على الأرض وحالها كيوم دفنته احتضنتها وبكت لسوء حال بنتها وما أصعب وجع الأبناء.

- إهدئي حبيبتي أنه في مكانة أحسن وأعلى

- أعلم يا أمي أعلم هذا جيدًا وأعلم أن الله أهداني قلبًا آخر للحب ولكن عدي يشبه تميم كثيرًا
- أتمني لو كنت أزف لتميم يا أمي حرة قلبي تحرق حشاي بأكمله اااااااااه يا امي اااااه
- الصراخ لا يفيد بشئ ولت يعدي المفقود إهدي. هيا نتوضئ ونصلي سويًا وبعدها أرخي جسدك لتظهري بأفضل إطلالة لزوجك فزفافك في الغد
- بالفعل يا أمي أريد أن التجأ لله فهو طبيبي وطيبي. أمي أُدع لي دائمًا في صلاتك
- والله ما تركت سجدة إلا وذكرت إسمك يا نبض القلب

وبعد أن هدأت توضئت وصلت وقامت تناجي الله في السجود:

يا معبود وواجد الوجود أسألك بأسمك الأعظم أن تريح هم قلبي وتعالج روحي من أثر ذلك العشق يا حبيبي وسيدي ومولاي وصلي اللهم على سيد المحبين وخاتم المرسلين حبيبي محمد صلي الله عليه وسلم.

وقامت ذأن احقاد الروح تنافرت منها وخف قلبها وابتسمت في صفاء واتجهت إلى مضجعها لتنم أكبر قدر ممكن من النعاس تنام حتى قبل حلول الليل حتى لا تجهد بشرتها لتطل غدًا على زوجها بوجه بشوش حسن الطلة

فستان زفاف وقاعة مناسبات تتضج بالمعازيم ولكن لماذا كلهم يرتدون اللون الأسود وعدي يقف غاضبًا وأنا كلما اقتربت على الفستان فزع قلبي لا أعلم ما السبب.

- =نور
- تميم...
- أنتَ أنتَ
- نعم يا نور أنا جئت أنزع منك بقايا الحب
- اشتقت إليك يا مُقلة العين
- نور أنتِ الآن على مشارف حياة جديدة للمرة الغير معدودة أقول لكِ احذري الذنب وتعقلي في الحب

- لماذا هذا جميع الناس ترتدي الأسود في عرسي ولما عدي غاضب هكذا؟!

- الأسود علامة لشئ ما فكوني على حذر، أما عدي يعاني هو أيضًا إن وفي يدك شفائه

- يعاني من ماذا؟ وكيف لي أن أشفيه؟

- يعاني مما عانيتي منه من قبل وشفائه أن تحبيه

- وجدوك يغنيني عن الجميع

- أنا أتيت إليكِ لهذا السبب، أريدك أن تعديني الآن ان تعيشي لزوجك وتجعليه في قلبك وبين أضلعك

بكيت بكاء شديد ومع كل دمعة يخف شئ ما في قلبي

- هيا يا نور عديني الآن

- أعدك عهود الحر والشاهد الله

- ربح البيع

- أي بيع هذا؟

- بيع هوا الميت للحي. الآن تتساقط منك شذرات المحبة الباقية إلى الهاوية مع دمع عينك وعندك بيادر حب جديد. أرجوكي كوني على حذر .

استيقظت من النوم وأنا أقول انتظر تميم. دخلت أمي الغرفة على صوتي وبمجرد دخولها وقعت صورة تميم من على المكتب وانكسرت.

استعاذت أمي على من الشيطان الرجيم وهدئتني نظرت إليها بابتسامة وقلت:

- بيادر الحب ظهرت يا أمي

ابتسم أي هى الأخرى وقالت:

- استكملي نعاسك وأنا سأنظف الغرفة من زجاج الصورة. استرخي يا نور عيني وقلبي وحياتي وقُبلتي

وذهبت..

في يوم الزفاف استيقظت مبكرًا وخرجت وجَدت أمها وخالتها وأقاربها يجهزون لهذة المناسبة العظيمة

- نور هل ستخرجين اليوم؟ لماذا تخرجي مبكرًا هكذا؟

- يا أمي أتصلت برئيسي في العمل ورحب بعودتي مرة أُخرى

- لا تقولي إنك ذاهبَ للعمل في يوم عرسك

- لا يا أمي أنا ذاهبه للإذاعة فعلًا لكن ليس للعمل بل لدعوة أصدقائي لزفافي اليوم وبعدها أذهب لصالون التجميل لكون أجمل عروس

- حسنًا يا حبيبتي اعتني بنفسك

عندما وصلت إلى باب البيت نادت علي أمي

- يا نور نسيتي أن تقطعي ورقة النتيجة كعادتك

- لا يا أمي أنا تناسيت عن عمد، استكفيت من شر ديسمبر

وبعدها خرجت ووصلت إلى الإذاعة وسلمت على كل الحاضرين ودعوتهم للزفاف وبررت لهم لماذا أدعوهم للزفاف في نفس اليوم.

بعضهم بارك لي والبعض الآخر لم يقتنع وقالوا ربما أخسر نفسي في الزواج وأحمل لقب المطلقة إن لم يحصل التوافق بيننا رغم إني خفت لما قالوه ولكن عندي يقين بأن الحياة بيننا تستمر بالحب. بالحب

تحدث المعجزات في زمن انتهت به المعجزات، الحب نبي القلوب وخير الأديان دين الحق.

"اديني بدين الحب اني توجهت ركائبه فالحب ديني وإيماني"

"فكيف تنكر حبًا بعد ما شهدت .. به عليك عدول الدمع والسقمِ
محضتني النصح لكن لست أسـمعه .. إن المحب عن العذال في صممِ"

انه مكان احمر يتدفق بانتظام له أذرع تمتد في كل مكان يشبه بالمملكة لا نهائية من الجنود الحمر يدخلون إليه ويخرجون كما تدخل الملائكة إلى البيت المعمور، أمحو كل ذكريات حواسي، أجرد ماضيّ من كل شئ، أقفز.. وفي الهواء بينما أنا في طريق الوقوع في قلبك ذاك لا أملك أي طريقة للرجوع في قراري.. إنه الحق

- الآن حبيبتي هذه أعظم لحظة في عمري وأصعب لحظة لقلبي

قبلَ أبي رأسي وعيناه تفيض من الدمع وفاضت عيني ايضًا.

- أسلمك بيدي لزوجك وأتمنى لكما حياة سعيدة وبداية تحفوا بالرحمة والمودة

- آمين يا أبي وحبيبي وقدوتي وملازي ومأمني

بعد دخولنا قاعة الإحتفال سلمت على زوجي وقبل رأسي ولكنه طال النظر إلى حتى كدت أن أموت خجًلا فأشحت بوجهي قائلة له:

- كف عن التحديق بي

- لا أقدر أن اكف عن ذلك زادك الله جمالًا حبيبتي

وبدأت مراسم الاحتفال من رقص ومداعبة وفرح ولكن لم نمكث طويلًا وهذا برغبة منا وانتهى الحفل وذهبنا لنبدأ حياة جديدة لا يعلمها إلا الله.

وبعد أن سُكر علينا باب بيت واحد ارتعدت ربما يخفي القدر شئ جديد.

زادت ثلوجه يدي عندما قبل جبهتي ولاحظ عليا هذا فطلب مني تبديل ملابسي وهو في انتظاري خارج الغرفة ليقلل من روعتي.

وبعد أن انتهيت من تغير ذلك الفستان الذي يحمل اكيالًا من القماش وطبقات كثيرة فوق بعضها تخلصت من إزالتها بصعوبة خرجت إليه.

ولكن وجدته شخص آخر الجسد هو الجسد لكن النفس تبدلت والروح أخذت هدنه من الرأفة.

نظراته الشهوانية قاتلة ملامح أهري بدأت تتشكل أمامي تحول لكائن قسوته مستهجنه ورغم كل هذا حاولت إخفاء ملامحي الخائفة في ابتسامة.

ابتسمت له في ألم قائلة له: هل تريد العشاء؟

رد علي في قسوة: عشاء الجسد فاني فأنا أريد عشاء شوقي إليكِ .

ازداد خوفي وأنا بين يديه وضع قبلة على خدي ولكنها كانت بمثابة الجمرة. ايقنت أن لا مفر منه الليلة على أن اتحمل كل هذه القسوة. سأترك نفسي ليده التي تطوحني فوق السرير وأنا...

وفي الظهراستيقظت لم أجده في جواري ترك المضجع فور جريمته وجلس في الخارج قُمت متجه إلى خزانة الملابس لأضع على جسدي ما يستره جرجت له لأعاتبه عما حدث ليلة أمس ولكن لا أعلم ماحل عليه فعيناه تفيض من الدمع.

ربطت بيدي على كتفه فأبعدها وقام ولم ينظر إلي كان يحاول إخفاء دموعه عني ولكن وقفت له في الجهة المقابلة مسكت يده بشده وقلت:

- لن اتركك تخرج وأنت بهذة الحالة

وقع بين أحضاني ويداه تشبثت بخصري كالمفقود

- لا يمكن أن يكون الذي بين يديا الآن هو ذاته الوحش الذي كنت بين يديه ليلة أمس.

- اهدأ... اهدأ أنا معك لا تخف لن اتركك أبدًا

- الوجع ذاته هو إنكِ معي

وكأن على رأسي الطير عقب تفوهه بهذة الكلمات

خرج من حضني ولم أستطع أن أمسك بيدي عليه من إثر فجيعتي بكلماته.

خرج من المنزل وانا أقف مكاني كالدميا جسد لا روح فيه.

كيف لكلمة أن تفقدني صوابي! كيف لكلمة أن توضع في القلب موضع الخنجر فتأتي به نصفين.

استفقت من غمرة الآلم لآلم أكبر، الأهل سيأتون الآن أو بعد قليل لزيارتنا وهو خرج ماذا أقول لهم، أم ماذا سيقولون عليا، اللهم اعني علي غلبة أمري.

مرت ساعتين على خروجه وأهلي من الممكن أن يأتون في أي وقت.

دق جرس الباب وأنا اقترب إليه اقتراب المخشي عليه من الخوف ماذا لو كانوا أهلي.

اقترب وكأن المسافة إلى الباب بالسنين الضوئية وهي مجرد عدة خطوات في الغالب اجتازها في دقيقة ولكنه الخوف يفعل افاعيل عُجاب كدت أن أقع فاقدة للوعي فعليًا إلا أن فتحت الباب ووجدته دخل إلى الغرفة دون أن ينطق بحرفٍ واحد أو حتى يبرر لي ما قاله.

تمدد على السرير بملابسه وذهب في نعاسه ومن كثرة الإرهاق والبكاء الذي كان ملحوظًا على وجهه نام ونسي أن يطفئ نور الغرفة. وبعد ساعة من عودته جاءوا الأهل والأصدقاء لزيارتنا في بيتنا، وبدأوا في السؤال المتوقع "أين عُدي؟".

وأنا اتهته والكلام يتلعثم في فمي ويتسارع بالقول وإلا قول حرب الكلمة نشبت في لسان حالي وصراع بين بين ثمانية وعشرون حرف ولا أجد حرف واحداً في جبه الكلمة لإغاثتي حتى كدت أن أنطق بالحقيقة وأقول أنه نائم.

وجدت من وضع قبلة على خدي قائلًا

- أنا هنا حبيبتي

اعتذر منكم جميعًا تأخرت حتى بدلت ملابسي

رد أبي عليه:

- لا عليك يا بُني

وجلسوا يتكلمون وشاركتهم أمي الحديث

ولكن ما شغل تفكيري وقتها كيف يستطيع أن يتلون هكذا بكل سهولة؟! وكيف أنقذ الموقف؟ ما هذا السر الغريب، وما هذة العلاقة، وما لهذا الحب يجعلني أغفر له ذلاته مهما تأذيت منه. وأحر قلبي.

انتبهوا لشرودي فسألتني أمي

- ما يشغل تفكيرك الآن يا نور؟

- لا شيء يا أمي يشغلني، أنا معكم أنصت إلى أحاديثكم

- وأنتِ تعرفين يا أمي أنى أسمع أكثر ما أتكلم ثم أنتِ أعلم مني بطباعي يا حبيب.

وهنا تدخل عدي في الحوار لينقذ الموقف مرة أخرى. قبل يدي وقال: شاركينا الحديث لأن مسامعي تشتاق لرنة صوتك دائمًا برغم أنه لا يفارق أذني أبدًا

وظل رابط على يدي ووجدت في عين أمي أمان وطمئنينة وهي تنظر إلى يدينا المتشابكتين فاطمئن قلبي لأنها لم تعد تشك إن حدث شيء بيننا أو أني شاردة.

بعد مرور الوقت حان وقت انصراف الأهل ورحنا لنودعهم إلى الباب واقفين وأنا بين أحضان عُدي ويداه على كتفي حتى يكتمل مشهد سعادتنا أمامهم إلى آخر حبكة.

وبمجرد أن انغلق الباب وذهبوا وصرنا وحدنا تركني مسرعًا دون أن يتفوه معي بكلمة واحدة ودخل الغرفة أحضر منها لحافًا و مسند و فرشة لينام في الخارج.

جُن عقلي مما يحدث صعقت من هول ما رأيت

- ماذا تفعل، هل أغضبتك لهذا الحد؟! ما ذنبي إذا لتعاقبني هكذا؟ هجر المضجع حلله الله عز وجل لعقاب الزوجة فما إثمي إذا؟

- لا شيء ولستِ آثمة لأعاقبك أنا فقط أريد أن أكون لحالي قليلًا.

قالها دون النظر إلي حتي.

- انظر الي حين احدثك لست خطيه لتعاملني هكذا

- بالله لا تزيد لوعه القلب.

نظر إلى نظرة انكسار واسي كأنه يقول لي شيء ما بها مبهم لا أفهمه لكنه موجوع.. موجوع حد الموت، اقتربت منه وجلست في جواره، جذبت بيدي وجه نحوي أطلت النظر في عينه تحدثنا بالعيون قلنا ما لم يتجرأ اللسان على قوله.

بكيت وشعرت بنغزة وجع في قلبي، لا.. لا نحن تزوجنا الآن لم يعد يوجد أي احتمالية للفراق سنتحمل ونكمل سويًا. ولكن لما العين تزرف أدمعها هكذا "رجوتك بالله ألا تزفين الدمع إلا فرحًا يا مقلتي.. لله درك قلبي".

قطع هو حديث العيون قائلا:

- اذهبي لترتاحي حتى نستيقظ للسفر بإفاقة جيدة
- هل سنسافر لشهر العسل بالفعل؟
- ولما لا؟
- انظر لحالنا الذي هو أضر من الخمر وستعرف
- اعتذر منك لا أعلم ماذا يجري بي ولكن دون الدخول في أي تفاصيل أو حوار اذهبي لغرفتك لتنمي لنسافرغدًا
- وأنتَ ستنام هنا؟
- قولت لا داعي لتفاصيل أو كلام اذهبي ونامي
- تصبح على خير.. أراح الله قلبك

- آمين

مددت جسدي على المضجع مستعدة لموضع النوم ولكن مازال عقلي يفكر في كمية التناقضات التي تحدث أوقات يرفضني عدي ويتعامل بقسوة وأوقات يبكي للندم أو لشئ آخر في نفسه وأوقات أخرى يتكلم بصفاء ورضي وأنا في جميع حالته التمس له أعذار لأني أحبه بفعل الحب اغفر له ذلاته حتى ولو على حساب وجعي ظللت أفكر في حالنا وحياتنا معًا حتى ذهبت في النوم.

* * * *

خـاوية القلوب

شيزوفرنيا القلوب أعظم الأسقام التي تهتك بالقلوب هتك، تلعب بحبلين على أوتار القلوب وقت تجعلك عزيز القلب ووقت آخر تباع بثمن بخس وفي كلتا الحالتين تفقد شيء ما في قلبك ربما الأمن أو يدمر الحب شيئًا فشيئًا حتى ينتهي تمامًا ويصبح القلب خاوي أجوف لا يملئه سوى نبضات لتحيي الجسد.. جسد دون قلب.

واقفة منشغلة بترتيب الحقائب أعد عتاد السفر، يد تمسكت بخصري وجسد التصق بظهري وقبلة حنونة دافئة وضعت على خدي

- صباح الحب والجمال حبيبتي
- صباح النور يا قلب الحبيبة، دقائق وأجهز لك الفطور انتظر فقط أغلق تلك الشنطة وأذهب على الفور
- لا يا نور يكفيكي تجهيز الحقائب أما أنا فسأحضر الفطار
- احظر واعتن بالمطبخ وبنفسك هههه
- لا تقلقلي أدعي فقط أن تكون الخسائر بسيطة هههه

- سترك علينا يا الله احفظ زوجي ومطبخي

وبعد وقت ليس بطويل تذكرت شئ بخصوص السفر فناديت عليه

- عدي هل نأخذ معنا معاطف كثيرة أم نكتفي بواحد أو اثنان لمساحة الحقيبة

- ضعي لكل منا أربعة معاطف

- كثير جدًا... أسوان تكون دافئة في الشتاء لا نحتاج لهذا الكم

- لا يخسر معنا أن اخذنا سنظل فترة طويلة هناك وديسمبر غير آمن

أحست بنغزة خوف اجتاحت قلبي استعذت بالله من خطوات الشيطان "أعوذ بك عليه وعلى خطواته أمن قلبي يا الله".

أصبحت أكبر مخاوفي ديسمبر وأهم أهدافي انتهائه، ينتظر العشاق ديسمبر بدفئه وحبه ولا يعلمون أنه لعنة. ديسمبر أكذوبة اخترعناها لنتوهم بالفرح.

"اللهم لا خير إلا خيرك ولا شر إلا شرك ولا إله غيرك"

أنهينا فطورنا ونزلنا بالحقائب وكلها ساعة ونكون على متن الطائرة المتجه إلى مدينة الجمال والطيبة أسوان. ظللنا طيلة هذة الساعة في

السيارة دون كلام وحتى لا يتسلل الخوف قلبي أكثر من هذا الحد نمت في السيارة إلى أن وصلنا للمطار.

يدٌ تلامس وجهي بدفء وحنان وكلمة لا أسمعها من نبرة هذا الصوت إلا نادرًا

- حبيبتي افيقي وصلنا

- حسنًا يا عُدي أنا استيقظت واستجمعت رشدي

انتهينا من إجراءات المرور في المطار واتجهنا إلى الطائرة وكانت أسعد اللحظات التي مرت علينا ونحن في الطائرة. يداه التي نفرتني البارحة هى الآن التي تتشبث في يدي ولا تتركها وتحدثنا من أحاديث الهوى ما نهوي.

لا.... لا ليس هو شخص آخر تمامًا شخص تخلص من الجفا الذي كان يعاملني به وامتلئ بالرحمة والألقة لابد أنه يخفي لي وجع أكبر ويتمرس ليقذف لي الجرح في أقسى صورة وما خفي كان أعظم.

ولكن قلبي يبتهج لحنيته هذة تكفيني نظرته الحانية علي وضع قبلة على يدي ونظر إلي نظرة حوت أسمى معاني الحب وقال لي: أحبك، رغمًا عني خجلت وابتسمت واشحت بوجهي عنه في خجل.

- خجلت ينحت ملامح أخري على وجهك

- ما اجملك حبيبتي!

- عينك جميلة لذا ترى كل شيء جميل

- لا أنتِ بالفعل جميلة

قاطع حديثهم صوت قائد الطائرة قائلًا: على جميع الركاب الاستعداد للهبوط.

- حسنًا نستكمل كلامنا في الفندق بإذن الله أما الآن استعد للهبوط

المدينة جميلة جدًا في النهار جوها دافئ معتدل ليس بارد وقاسي كما اعتدنا من ديسمبر سبحان من خلق فسوى هذا السحر البديع. الناس هنا في غاية الجمال لونهم مبهج كسمرة النيل وضحكاتهم صافية كدت من فرط الجمال أذوب.

لم نصل إلى مكان الإقامة إلا في الليل أخذنا جولتنا في المدينة أولًا ثم ذهبنا إلى الفندق في المساء.

وصلنا إلى الفندق الذي حجزنا به واتممنا الإجراءات اللازمة واستقبلونا بالمباركات على الزواج حتى إن وصلنا إلى الغرفة التي سننزل بها طوال فترة إقامتنا هنا وجدناها مجهزة بالشموع والورود على السرير والمناضد

لأننا فردين جديدين في عالم الأزواج صنعوا جوًا رومانتيكيا بالفعل وهذا من كرم أهل المدينة.

- يا قديسة القلب اشتقت إليكِ
- دعني أمارس طقس الإعتراف
- عن ماذا ستعترفي؟
- ساعدني في أداء الطقوس وسأعترف لك
- ماذا علي فعله؟

- عليك أن تقبل جبهتي بحنو، كما قال الرب "سَلِّمُوا بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ بِقُبْلَةِ الْمَحَبَّةِ"، وفي الذكر الحكيم "وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ"، فأحسن إلي بحبك

- سأفعل

- أعترف لك أنى قد جعلت قلبي محرابك وترهبنت على حبك، فأنا أحبك يا عُدي

- أتشوق روي عطشي من خمر حبك

اقترب مني مسح بيديه على وجهي ثم اعتذر مني لا أدرى لما الإعتذار ولكن تجنبت السؤال عنه حتى لا تنتزع لحظتنا الرومانسية هذة ثم قبل شفتاي.

كانت ليلتنا هذة تغفر له ما بذر منه ليلة زفافنا من قسوة ووجع قلب وجسد بالفعل كنت أتمنى أن تكون ليلتنا هذة أول ليلة بيننا.

وفي اليوم التالي كأن اصابه الجنون، استيقظ عصبي ويلوح بيديه غضبًا وينفث بأنفه حاولت أن أفهم منه لما يفعل هذا كيف يتحول بهذه الصورة من حين إلى آخر.

- ماذا بك؟ أهذه الإصطباحه المعتادة لك؟ أين صباح الخير كما يفعل جميع الناس؟

- أنا اختلف عن الجميع فأنا لا أقارن بأح=

- بالفعل أنت تختلف فالبشر جميعهم ليديهم إحساس وقلب، أم أنت فقلبك أصلب من الحجارة وإحساسك معدوم

- أوفٍ لك.. ما تريدين أن تسمعي كلمات الغزل والغرام؟! هذا كل ما يهمك إذا سأفعل صباح الحب يا إمرأة

- إمرأة؟! أنا زوجتك شريكة عمرك ولست كأي إمرأة

- كفاكي جدال تجهزي لنذهب الآن لزيارة بعض المعابد

- لن آتي معك

- لن أكرر الكلمة ثانية تجهزي واتبعيني لأسفل

تذكرت نصيحة أمي قبل الزواج عندما قالت لي كوني له أَمة يكن لك عبدًا فعلي الآن موافقته لأكسب وده ولأن طاعته واجبة في شرع الله تجهزت وخلفته في النزول لنفطر سويًا.

- طلبت الفطور والشاي وبعدها نخرج لتكملة النزهة

- أنا أشرب القهوة يا عُدي وليس الشاي، أنسيت؟

- كلانا سنشرب الشاي

- أنا لست مقيدة بأساور لأقبل ما تفعله هذا، أنا حره

- الأسر ليس قيد أساور يا.... يا نور

- لا أفهمك

- لا يهم

- هلَ ننتهي من تلك الألغاز

- سننتهي.. سننتهي وعما قريب جدًا

سُجيرت القوافي حُرقت الأقلام واعتل الخنجر حنجرتي فسُكر البوح وهأنا ذا اتلاقت أنفاسي الأخيرة. ذهبنا لنزهتنا ولم تكن نزه بالمعني المتعارف عليه بل كانت تحليلًا بحق الثمن المدفوع فيها لأن كلًا منها سارحًا في ملكوته الخاص، أنا سارحه كل في هم نفوره مني وتحويله من شخصية لأخرى ساعة يحبني وساعات يبغضني وهو لا أعلم ما به ولكن أعرف من عينه مدى حزنه الذي يفيض اتساعًا عن الكون ولكن لا أدري ما السبب، وجدته يلحق بفتاة وينادي عليها

- يا آنسة.. انتظري، هل اسمك نورا؟

- لا ليس اسمي نورا

تدخلت أنا في الحوار دون إرادة مني وبكل تلقائية

- أعتذر منك يا آنسه فأنت تشبهين صديقة غالية علينا

- لا داعي للإعتذار، فرصة سعيدة

نظرته إليه في تسأل واسف

- من نورا هذه يا عُدي؟

- دعينا نستكمل زيارتنا المعبد

- ليست هذه الإجابة التي أريدها

- وماذا تريدين، لا أريد التحدث في هذا الموضوع الآن، دعيها لمناسبتها

- حسنًا يا عُدي

مسك يدي ونظر لي بحنو قائلًا:

- ابتسمي

اطلت النظر في عينه وابتسمت وقعت بين ايلان الرفض والقبول القسوة والحب تواجشت الأحاسيس على جبهات القلب معلنة الحرب وأنا أسيرة هذا العبث السائر داخلي، اللهم ولي قلبي احفظه.

نتفتل في المعبد معًا النقوش على حجارة الجرانيت في غاية العظمة تاريخ الملوك كامل علي الجداريات وعظمة البناء نفسه تجعلنا نقول سبحان خالق هذه العقول ومدبرها. وكان عُدي أيضًا منبهر بآصالة وعراقه فهو يهتم بالتراث مثلي بل أكثر مني.

انتهينا من رحلتنا في معبد فيله وعند الخروج أمطرت السماء من فضل ربي خيرًا. أحب المطر ورائحته المبهجة والمضلة لدي رغما عني انسحبت من جانب عدي وتراقصت في حركات دائرية تحت المطر.

كنت أرتدي فستان رمادي اللون مرصع بخرائز من اللون الأسمر كان خفيفًا نوعًا ما لأن أسوان دافئة في الشتاء ونادرًا ما تمطر سماؤها.

تبللت كليًا ولكن كلما وقع نظري على عدي وجدته يبتسم ويتحدث لي بعينيه نعم غازلني بعينه وتحدث معي وكنت أرقص فرحًا من

كلمات عينه هذه حتى اقترب مني واصطدمت به واطلنا الحديث، حديث العيون.

فخلع معطفه والبسني إياه وابتسم لي وقال:

- كفاك دلال يا مدللتي

نظرت لأسفل خجلًا وابتسمت وقلت:

- كفاني

- هيا نذهب للفندق وبدلي ملابسك

- هيا يا عدي

شتات القلوب أعظم سقم يمر به حال قلب المحب تلك التيه التي تفعل بنا الأفاعيل من أرق وإرهاق أعظم العلل الذي لا يقدر على شفائها غير الحبيب فكيف وإن كان الحبيب ذاته فاقد ترياق المحبة موجعة حقًا.

- بدلي ملابسك وخذي ذلك الدواء الذي جلبته لك حتى لا تصابي بالبرد

- حاضر يا عدي

- وأنا سأذهب إلى الخارج قليلًا

- أين؟

- صدقيني لا أعلم

- متي تأتي؟

- سأتي عندما احتاج للعودة

- اعتن بنفسك لأجلي

ابتسم وقال:

- اتركيها لله

- في رعاية الله

بدلت ملابسي واخدت الدواء خيفه أن أصاب بالبرد وقررت أن استغل غياب عدي الذي لا يعلم عودته إلا الله أن اتجهز لعمل خلوة لتطيب روحي واطرد هواجس قلبي المشتت هذا. بدأتها بصلاة ركعتين لله ثم الصلاة على سيد المحبين محمد الصادق الآمين ورحت انداح في الإنشاد، بدأت بإنشاد الدواء لكل العلل بأمر الله قصيدة "نهج البردة".

والله ما انشدتها لداء إلا وشفيت منه بأمر من ربي، وداء القلب أشد وأغوي.

"امن تَذَكُّرِ جِيرَانٍ بِذِي سَلَم

مَزَجْتَ دَمْعًا جَرَى مِنْ مُقْلَةٍ بِدَمِ

أَمْ هَبَّتِ الرِّيحُ مِنْ تِلْقَاءِ كَاظِمَةٍ

وَأَوْمَضَ البَرْقُ فِي الظُّلْمَاءِ مِنْ إِضَم

فَمَا لِعَيْنَيْكَ إِنْ قُلْتَ أَكْفُفَا هَمَتَا

وَمَا لِقَلْبِكَ إِنْ قُلْتَ اسْتَفِقْ يَهِم

أَيَحْسَبُ الصَّبُّ أَنَّ الحُبَّ مُنْكَتِمٌ

مَا بَيْنَ مُنْسَجِمٍ مِنْهُ وَمُضْطَرِمِ

لَوْلاَ الهَوَى لَمْ تَرِقْ دَمْعًا عَلَى طَلَلٍ

وَلاَ أَرِقْتَ لِذِكْرِ البَانِ وَالْعَلَمِ"

وجئت عند هذا البيت وانهمرت أدمعي فاضت بي وانداحت كسيل عرم كأن القلب يرتعد من أحرف هذة الأبيات كل حرف يشن على قلبي بالحرب ولا أدرى ما السبب

"فَكَيْفَ تُنْكِرُ حُبًّا بَعْدَمَا شَهِدَتْ

بِهِ عَلَيْكَ عُدُولُ الدَّمْعِ وَالسِّقَمِ"

كيف يا الله ينكر حب افاض بي وغمر الحشا كيف يرفض ذلك العشق الذي دفنته له في قلبي حاولت اخفاءه ولكنه ظهر رغمًا عني القلب ملئ بالرزق أليس حبه رزقًا يا الله رزق حلال جاء من معاناة وشقاء ليكون له عشقًا وقوتا لقلبه ورغم هذا قلبه لايزال صائم حتى الآن لا يريد أن يفطر ولو بشق حبي له، واحر قلبي يا الله أعلنها لك يا عالم السر والخفي أن أحبه حد الجنون.

قمت أنشد واتراقص حي تخف روحي وتعلو بالمحبة وانفر من القسوة والحقد أمارس رقصتي الدائرية التي تعلو بي إلى حيث لا أدري ردائي يتتطاير وكذلك أدمعي وإيقاع نغمي صوت المطر مذبوحة من الجفا قولت اه تأوهت عَلِي استريح ليس لي لائمه فمن يلوم المتأوه المكلوم إذ يرقى.

"عَرَفْتُ الهَوى مُذ عَرَفْتُ هواك

وأغْلَقْتُ قَلْبي عَلىٰ مَنْ عَاداكْ

وقُمْتُ أُناجِيـكَ يا مَن تـَرى

خَفايا القُلُوبِ ولَسْنا نراك"

وحينئذن اصتدمت بعُدي أمامي مسد شعري ونظر لي وأطال قائلًا:

- اكملي ما استوقفتي عندهـ

- أكملتُ الإنشاد وأنا ناظرة في عينه كأن جُمد البصر

"أحِبُكَ حُبَيْنِ حُبَ الهَـوىٰ

وحُبْـًا لأنَكَ أهْـلٌ لـِذَاك

فأما الذي هُوَ حُبُ الهَوىٰ

فَشُغْلِي بذِكْرِكَ عَمَنْ سوا

وأمّـا الذي أنْتَ أهلٌ لَهُ

فَلَسْتُ أرىٰ الكَوْنِ حَتىٰ أراكْ"

- هلا جاوبت لي سؤلتي ياعدي؟

- وماهى هى؟

- لما؟

- ماذا؟

- لما الهجر والجفا؟ لما تزوجتني وأنت ترفضني؟ لما توجع القلب الذي يفديك بنبضة؟ لما ياعدي؟

وجدت ملامحه تحوله على الفور وجته هائم منكب على وجه وكأنه ليس هو.

- حسنًا سأجيبك، وجدتك تشبهين نورا كثيرًا حتى في الاسم تشابهيها قولت رزقني الله بعوض غيرها ولكن لستي كمثلها لا أعرف ماذا أقول ولكن أعذريني لازلت أحبها، حاولت أن أكرهك بي لتتركيني لكنك تمسكتي بي أكثر فأكثر. كنت أوجعك بكل قسوة وحين اختلوا بنفسي أبكي عما فعلته بكِ أعذريني لا أعلم لما أفعل هذا.

وقع الكلام على مسامعي كالصاعقة اردفت قائلة:

- من نورا؟

- نورا حبيبتي وكنا سنتزوج عما قريب لولا إرادة الله حدث حادث لها وتوفت فيه كان في ١٣ ديسمبر الماضي اصطدمت بسيارتها في سيارة أخرى عند عودتها من العمل

- انتظر، ١٣ ديسمبر الماضي؟ وفي حادث سيارة؟ أكان الذي اصطدمت به شابًا وتوفي أيضًا؟

- نعم، كيف عرفتي؟

- الحدث الذي حدث سلب منك حبيبتك وسلب خطيبي تميم رحمه الله، أنصافنا الأخري ذهبت عنا في حادث واحد لنتقابل نحن ونعاني

- بالفعل نعاني، نعاني ألم الفراق نعاني التوهم بالحياة ونحن متنا منذ أن رحلوا عنا. أعذريني يا نور عما بدر مني في حقك أنأ أحب نورا حد الموت لا أريد سوى أن أموت لألحق بها، هلا قبلتي بالطلاق يا نور؟

- قبلته ياعُدي إن كانت سعادتك في طلاقنا فقبلته بصدر رحب، يكفيني أن أراك من بعيد سعيدًا ويكفيني ولاءك لنورا رحمها الله هي وتميم.

قبل رأسي وسقطت الدموع مني عيني فالقي عليا يمين الطلاق وابتسمت لفرحه.

****

ذنوب العشق

وكانت هذه الأقدار نتاج العشق والآن أترجم لكم حرقتها بقلمي الحب الأعظم مجرد من الخيار والتخير العشق ثابت وقلبي سيد دليلي إلى الله.

أكبر مثال ضرب على الغيرة هو غيرة الله على قلب عباده، لا ينبغي أن يزيد مقدار البشر عن خالق البشر. من رحم القلب يخلق الحب وتحدث صبوة العشق ولكن للمعشوق الأحق لا "لا يلدغ المؤمن من حجر مرتين".

ولكن الاختيار صعب عدي يشبه تميم رحمة الله فأرسل الله عدي ليرى هل خرج تميم من القلب أم لا... لم يخرج ودليل ذلك أني وافقت على زواج عدي لأنه هو الآخر يشبه تميم كما كنت له أشبه نورا أنا أيضًا ولكنه سبقني بخطوة فكان ماكان فدفعت ثمن عشقي للمرة الثانية (الفقد).

أما بالنسبة لديسمبر توهنا بأسطورة تقول ما فقد في ديسمبر يرد في ديسمبر المقبل آمنا بها ونسينا إنها مجرد أسطورة وكلام مكذوب فأنا

أكبر دليل على أكذوبة ديسمبر ما فقدته في ديسمبر فقد أضعافه في ديسمبر المقبل.

جميع العشاق ينتظرون ليبدأ عبث الحب والدفء ولكنه شهر كأي شهر من شهور السنة ولكنه مخيف جدًا أصبح لدي خوف مزمن منه أصبت بفوبية ديسمبر من كثرة الفقد.

فالحب إيمان لا ينبغي أن نشرك القلب حتى لا نصاب بزندقة الهوى وتصب عليا ذنوب العشق.

تمت